عش مع القرآن – سورة آل عمران

الكمال لله-عزَّ وجلَّ-، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم فيه من خطأ فمن أنفسنا والشّيطان، ونستغفر الله.

www.markazalsalam.com
t.me/markazalsalam
+97150 8008875
info@markazalsalam.com
t.me/dropletsofdew
Al Salam Islamic Center

بسم الله الرحمن الرحيم
لا حول ولا قوة إلا بالله

عش مع القرآن
سورة آل عمران

26 أكتوبر 2022 | 29 ربيع الأول 1444 | الدرس # 33

المقدمــة

الثناء على الله

الحمدُ للهِ عددَ ما خلق، والحمدُ لله مِلْءَ ما خلَق، والحمدُ لله عدَدَ ما في الأرضِ والسماءِ، والحمدُ لله مِلْءَ ما في الأرضِ والسماءِ، والحمدُ للهِ عدَدَ ما أحصى كتابُه، والحمدُ لله مِلْءَ ما أحصى كتابُه، والحمدُ للهِ عدَدَ كلِّ شيءٍ، والحمدُ للهِ مِلْءَ كلِّ شيءٍ.

- الثبات بدون المحبة جدا صعب. إذا كنا لا نحب الشيء لن نرابط. لأن المواقف التي تحتاج الثبات هي مواقف صعبة، قد يكون فيها فتن، وشهوات، وأهواء، وصعوبات.
- وقت الفتنة لا نرى شيء، لذلك "اللهم إني أعوذ بك من الفتن ما ظهر منها وما بطن".

بين يدي الساعة يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرا

قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): بَادِرُوا بالأعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ المُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا. [1]

- ما الذي حدث في هذه الفترة من الصباح إلى المساء كي يتغير من مؤمن إلى كافر؟ نسأل الله السلامة.

[1] صحيح مسلم 118.

- الإنسان لا يأمن من مكر الله ولا يثق بنفسه. ولكن الذي يثبتنا هي المحبة. لذلك جاء في الحديث "ما أعددت لها؟ محبة الله ورسوله".

المحبة أعظم زاد للآخرة

جاءَ رجلٌ إلى رسولِ اللهِ صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ فقالَ يا رسولَ اللهِ متى قيامُ السَّاعةِ فقامَ النَّبيُّ صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ إلى الصَّلاةِ فلمَّا قضى صلاتَهُ قالَ أينَ السَّائلُ عن قيامِ السَّاعةِ فقالَ الرَّجلُ أَنا يا رسولَ اللَّهِ قالَ ما أعددتَ لَها قالَ يا رسولَ اللهِ ما أعددتُ لَها كبيرَ صلاةٍ ولا صومٍ إلَّا أنِّي أحبُّ اللَّهَ ورسولَهُ. فقالَ النبيُّ صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ المرءُ معَ مَن أحبَّ ، وأنتَ معَ مَن أحببتَ فما رأيتُ فرِحَ المسلمونَ بعدَ الإسلامِ فرحَهُم بِهَذا.

- سورة آل عمران عن الثبات بالمحبة كي لا نتألم، فقد يكون هناك ألم في الطريق.

- ولكن ما فائدة الآلام في الدنيا؟ كي نتعلق أكثر باللّه، ويستخرج منا العبوديات. كما آلام المخاض تسهل على الأم ولادة الطفل.
- فمستحيل أن يعطي الله ألم من غير فائدة. خصوصا الولادة من الموت إلى الحياة، وهذا ليس بأمر سهل، كذلك الموت عكس الولادة، فالروح تخرج، كما جاء في الآية:

سورة الأنعام 93

وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ

- وهناك اعتقاد خاطئ يقول "أن المرأة تتحمل ألم المخاض لأنها حرضت آدم على أكل الشجرة"، ولكن الصحيح أن هذه الآلام فائدتها مغفرة الذنوب، ورفع الدرجات، فالآلام لها فائدة في الدنيا.
- في الدنيا هناك آلام، فقط كي نتعلق باللّه. كما جاء في سورة النساء:

سورة النساء 104

وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا

- المؤمن يتألم وكذلك الكافر يتألم، والذي يجعلنا نتغلب على الألم "الرجاء وحسن الظن"، أن الألم لن يستمر.
- ولكن الإنسان المحب لا يشعر بالألم، لأن المحبة أكثر من الألم. والدليل على هذا، نسوة المدينة، غرقوا في محبة يوسف فقطّعوا أيديهن. وهذا هو "عشق الصور".
- والمدينة من "دان - يدين"، أي فيها قوانين والتزامات.
- نسوة المدينة من جمال يوسف (عليه السلام) الخارجي افتتنوا فيه، كأنهم أحبوه كثيرا، فقطعّوا أيديهن، ولم يشعروا بالألم، والعلماء ذكروا من هذا أن المُحب لا يشعر بالألم.

- لذلك الصحابة كانوا يقاتلون في سبيل الله، ولا يشعرون بشيء.
- لذلك في مدارج السالكين لابن القيم في باب ومنزلة المحبة قال، "من أحكام الفناء في المحبة: أن تنمحي صفات المُحب، وتفني في صفات محبوبه وذاته". وهذا هو معنى المحبة، وهذا هو درجة الإحسان. فالإنسان المؤمن باللّه العارف به أحبه لا محالة:

سورة الأنعام 122

أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ

- وذكر ابن قيم في منزلة المحبة: "ومن شواهد المحبة استقلال الكثير من نفسك واستكثار القليل من حبيبك".
- الذي يحب لغير الله في الحقيقة يحب نفسه، وتغيير صغير يغيره، ولكن الذي يحب في الله لا يرى عمل الآخر، ولا ذنبه، ولا تزيد هذه المحبة بالبر، ولا تنقص بالجفاء.

- وأعظم عطاء هي "المحبة"، وهذا صعب، لذلك علينا أن نحب في الله فقط. المحبة شيء عظيم، لا نعطيه لأحد لغرض أو مصلحة، فتكون هذه المحبة هلاك لصاحبها.
- فالمحبة في الله غير متعلقة بالبر ولا بالعطاء.
- إذا لم نحب الناس في الله كيف نحب الله والرسول (صلى الله عليه وسلم).
- عندما تحبين لا ترين نفسك، ولا أفعالك، ولا عطاءك، وأعظم ما نتقرب به إلى الله هي المحبة.
- نحن النساء نشعر بالتغيرات كثيراً، من المراهقة، والحمل، والولادة، والعادة الشهرية، لذلك الطلاق في وقت الحيض لا يقع.
- كذلك الله (سبحانه وتعالى) سهل علينا كثيرا، في الحديث:

قيل لها ادخلي من أي أبواب الجنة شئت

قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "إذا صلَّتِ المرأةُ خَمْسَها، وصامَت شهرَها، وحصَّنَتْ فرجَها، وأطاعَت زوجَها، قيلَ لها: ادخُلي الجنَّةَ مِن أيِّ أبوابِ الجنَّةِ شِئتِ". [2]

- ولكن الرجال الواجب عليهم الصلاة في الجماعة، والقتال، والنفقة على الأهل والعيال، أي مسؤوليتهم كبيرة.
- وما الذي يجعل الإنسان يثبت مع كل هذه التغيرات؟ المحبة.
- المرأة مشاعر، والرجل عملي. لذلك حمل الرسالة والدين على الرجال.
- ولله المثل الأعلى، الله الحي القيوم لا يتأثر، لا بإيماننا ولا بكفر الناس.

[2] صحيح الجامع 660.

- لذلك الله (سبحانه وتعالى) لم يعاتب موسى (عليه السلام) على رمي الألواح، ولكن نحن إذا تأثرنا بشيء ننفعل. وهذا المثال يبين الطبيعة البشرية. لذلك العلاقة مع الله دائما ناجحة، لأنه دائما معنا.
- لأن الله الحي القيوم ولا يتأثر هو الذي يرسل الرسل، ويرزق الخليقة، ولو لم يسألوه، ولم يدعوه، لا يتركهم أبدا.
- الإنسان المجرم المعرض عن الله (سبحانه وتعالى) إذا فقط تحرك قلبه قليلا يأتي الله إليه هرولة، أين ترين مثل هذه الصفات؟ لذلك عندما نرى كمال صفات الله نرى أن أساس الحياة معاملتنا مع الله. وهذا هو الإحسان.
- وهذا هو منازل السالكين إلى الله ومحبة الله، ومحبة الرسول، والمحبة في الله التي تحفظ الإنسان من الآلام.

- مع محبة الله لن ننسى فقط آلامنا، إنما كذلك ننسى صفاتنا. عندما نمر بأي ابتلاء في حياتنا لا نرى ألمنا، إنما نرى رحمة الله، لا نرى المشاكل إنما نرى لطف الله وأنه العليم الخبير.
- حتى من خلال الذنوب نرى الله (سبحانه وتعالى) فإنه سهّل علينا كثيرا، "إذا أتيناه بملء الأرض خطايا ولم نشرك به يغفر لنا".
- أحيانا نكون في بطن الحوت، أو عنق الزجاجة، ونتألم، ولكن بهذه الآلام ليس لنا إلا الله (سبحانه وتعالى).
- والآلام ذكرنا الفائدة منها استخراج الدعاء، والتعلق، والمحبة، ولكن هذا يحتاج لحسن الظن باللّه. وأيضا من فوائدها التخلص من النفس الأمارة بالسوء. فإذا لم نتحرر من أنفسنا لن نستطيع أن نعطي أعظم ما عندنا أي "المحبة".

حديث أولياء الله

" إنَّ اللَّهَ قالَ: مَن عادَى لي وَلِيًّا فقَدْ آذَنْتُهُ بالحَرْبِ، وما تَقَرَّبَ إلَيَّ عَبْدِي بشَيءٍ أحَبَّ إلَيَّ ممَّا افْتَرَضْتُ عليه، وما يَزالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إلَيَّ بالنَّوافِلِ حتَّى أُحِبَّهُ، فإذا أحْبَبْتُهُ، كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذي يَسْمَعُ به، وبَصَرَهُ الَّذي يُبْصِرُ به، ويَدَهُ الَّتي يَبْطِشُ بها، ورِجْلَهُ الَّتي يَمْشِي بها، وإنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، ولَئِنِ اسْتَعاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وما تَرَدَّدْتُ عن شَيءٍ أنا فاعِلُهُ تَرَدُّدِي عن نَفْسِ المُؤْمِنِ؛ يَكْرَهُ المَوْتَ، وأنا أكْرَهُ مَساءَتَهُ. ".[3]

- أحب ما عند الله الفرائض، ولازال العبد يتقرب إلى ربه حتى يحبه، فعلى العبد التقرب من مولاه.

[3] صحيح البخاري 6502.

- ابتداءً الله يحبنا لذلك يقربنا، ولكن هل نحن نتقرب إليه ونأخذ طريق المحبة أم لا؟ كما أن الله يعامل جميع الناس بمقتضى أسمائه، ولو لم يطلبوا، أي الله يرزق الجميع ويكرم الجميع ولو لم يسألوه، ولكن إذا آمنا باللّه ودعوناه أكيد سيعطينا رزق خاص، تربية خاصة، محبة خاصة، وهداية خاصة.
- فإذا أحبب الله هذا العبد، كان سمعه الذي يسمع به، بصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، أي يكون حواسه، كي يحفظه.
- أي لا يرى إلا ما يحب الله، ولا يسمع إلا ما يُريد الله، تخيلي الذي يحبه الله يريد أن يحفظه كي لا يؤثر على هذه المحبة شيء.
- وما الذي يؤثر على المحبة؟ زيغ العين، والكلام.
- وهذا يبين أن الله يغار على المؤمن. وأين نحن وأين الله (سبحانه وتعالى). معرفة الله أكثر تبين الهدف من خلق الإنسان كي يستخرج منه العبوديات.

الحكمة من خلق الإنسان

- قبل خلق الإنسان، الملائكة والجن كانوا مخلوقين، ولم يكونوا يعصون الله شيئا، ولكن لم يظهر الصدق، ولا التحميص، ولا آثار تربية الله.
- لذلك قال تعالى:

سورة البقرة 30

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ

- لذلك الحكمة من خلق الإنسان أن يبين الله الصادق من الكافر، ومن الذي يحب الله في كل الظروف، ومن الذي يتبع هواه.
- فأول موقف بيّن إبليس، مع أنه كان عابد، ولكن موقف واحد كان كافي أن يبين أنه يحب نفسه، ولا يحب الله (سبحانه وتعالى).

- فالمحبة تكون طلقة، بغض النظر ماذا فعل.
- وأيضا الحكمة الأخرى في خلق آدم، أن تظهر فيه العبوديات، من الشكر والصبر.
- والحكمة الثالثة، أن الإنسان خاصة الله يربيه بالعلم، فالعلم يحفظنا كما جاء في الحديث.

العلم

مَن سلَكَ طريقًا يلتَمِسُ فيهِ علمًا، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طريقًا إلى الجنَّةِ.[4]

- كأن هذا الإنسان يظهر عليه آثار التربية والعبوديات من خلال التعلم.
- والحكمة الأهم في خلق الإنسان معرفة كمال الله.
- الثبات في الفتن والمحن والمشاكل يحتاج رباط الحبة.

[4] صحيح أبي داود 3641.

- لذلك دعاء الهم والغم هو " لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لَا إِلَهَ إلا الله رب السماوات السبع ورب الأرض ورب العرش الكريم". فالاستغراق في معرفة كمال الله تشغلنا عن كل ما في الدنيا.
- والدنيا كلها كي نعرف الله، وكيف نعرف الله؟ في المواقف، ونحن نريد أن نثبت، والمحبة تثبتنا.
- الذي يجعلنا نهدأ المحبة، بدون المحبة لن نهدأ ولن نثبت.

سورة التغابن 11

وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۚ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ

- الهداية ارشاد وهدوء.
- لذلك محبة الله والرسول والمحبة في الله أعظم من حب الشهوات.

سورة آل عمران 14

زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ

- لا بأس أن نحب الشهوات، ولكن هنا حب الشهوات من النساء للتمتع بهن، وليس المحبة الحقيقية.
- نستطيع أن نحب الأشياء، ولكن الذي يثبتنا محبة الله ومحبة الرسول والمحبة في الله.
- قد يكون عندنا كل شيء ونحبه، ولكن قلوبنا لا تحب المحبة الحقيقية. وهذا لا يثبتنا، إنما الثبات في محبة شيء ثابت، لذلك ذكر في نهاية الآية، {ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ}.

- حب الشهوات عابر، ولا يثبتنا، والمحبة التي تثبتنا هي المحبة في الله، لأن لا شهوات فيها. حب الشهوات أنانية، ومحبة للنفس.
- هناك فرق بين محبة الأخذ وهي من الشهوات، ومحبة العطاء وهي المحبة الحقيقية التي نتجرد بها من أنفسنا.
- {وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ}، أي الله يبين لنا المحاب الحقيقة، من محبة صفات الكمال، من الطيبة، والرحمة.
- المحاب التي في الدنيا والتي تبقى إلى الآخر هي المحبة الخالصة التي فيها العطاء، ولا أنانية فيها.
- الذي يحب في الله يعطي نفسه كاملا:

سورة التوبة 111

إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ۚ

اللهم إني أسألك حبك وحب من يحبك وحب عمل يقرب إلى حبك. آمين
سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك

التربية الربانية من هذه الآيات

- المحبة هي التي تثبت.
- محبة الله والرسول والمحبة في الله هي المحبة الحقيقية، وغيرها من المحاب قد تكون فيها من الأنانية ومحبة النفس لأنها تكون بسبب تزين الشهوات للنفس.

المصادر

1. تفسير الشيخ السعدي
2. تفسير ابن كثير
3. تفسير الشيخ بن عثيمين

مصادر اضافية

للاستماع للدرس – للنساء فقط

https://vimeopro.com/markazalsalam/live-with-the-quran-surah-al-imran-ar

لطلب الاستماع للدرس:

https://markazalsalam.com/recordings-notes

الدروس السابقة في قناة تلغرام- هذه القناة لنساء والرجال

لطلاب العلم، والداعين، والمعلمين باللغة الإنجليزية

https://t.me/markazalsalampublicationsENG

لطلاب العلم، والداعين، والمعلمين باللغة العربية

https://t.me/markazalsalampublicationsAR

مدونات الدروس للأطفال

https://t.me/dropletsofdew

للمبتدئين في الإسلام

https://t.me/truthfulentry